

حين  
يصبح

# الصمت

حياة



الكاتبة

هيبات بخيت عبدالهادي محمد

... ليُفهم يُكتب يُكتب ما كل ليس

الكلمات تُنقذها ولا اللغة، تصلها لا أماكن من ثولد الحكايات فبعض

اكت حتى نفسه، من ينجو أن يحاول ظلّ إنسانٍ أثر بل بعينها، فتاة قصة ليست هذه  
داخل البقاء من آخر شكلٍ أحياناً بل الألم، من خروجاً دائماً ليست النجاة أن شف  
ه.

به التنبؤ يمكن نهاية ولا بها، الإمساك يمكن بداية ولا واضحة، بطلة توجد لا هنا  
أ.

ويصب معناه، التكرار يفقد حتى مختلفة، بصيغ تتكرر الشعور، من ممتدة حالة فقط  
نفسها الحياة هو ح

...حدث ماذا لتخبرك ليست الصفحات هذه

دو طويلة، لسنواتٍ إنسان، داخل حياً يظل أن يرى لا لشيءٍ يمكن كيف لتريك بل  
العالم انتباه يلفت أن ن

... حزينًا الإنسان يولد لا

الطمأنينة شكل تعرف لا وهي تكبر حتى مبكرًا، الحياة ثرهقها أرواحًا هناك لكن  
،وطن إلى يتحول قد أنه متأخرة اكتشفت ثم عابر، شعور الحزن أن تظن كانت

أبدًا أصحابها يغادرها لا الأوطان بعض وأن

... مهمًا يكن لم اسمها

فقدوه بما بل بأسمائهم، الناس ينادي لا الحزن لأن

حي وتتحدث اضطرت، إذا تبتسم تمشي، تستيقظ، الجميع؛ يعيش كما تعيش كانت  
الحديث منها يُطلب ن

س منذ تبكي روحها، من معتمة زاوية في تجلس أخرى، فتاة هناك كانت داخلها، لكن  
أحد يسمعها ولم نوات،

...الوحدة تخشى تكن لم

قبلها كانت كيف فيه تتذكر لا يوم يأتي أن تخشى كانت

جاء اليوم... وذلك

استثنائي شيء فيه يحدث لم

ف قلبها ينكسر ولم حياتها، غير خبرًا تسمع ولم واحدة، دفعة أحلامها فيه تمت لم  
واحدة لحظة ي

... بطيئًا انطفاء كان بل

أحد يراه لا انطفاء

المكان الصمت صار ثم الحديث، في رغبتهما فقدت ثم بالأشياء، دهشتها تفقد بدأت  
نفسها تمثيل إلى تضطر لا بأنها فيه تشعر الذي الوحيد

يحملها لا لكنه يشبهها، وجهًا رأت المرأة، إلى نظرت كلما كانت

بسنوات الحزن إلى سبقتها قد الزجاج، خلف من إليها تنظر التي المرأة وكان

ليلة كل نفسها تسأل كانت

"زمن؟ منذ انتهى أنه يشعر وهو يوم، كل يستيقظ أن الإنسان يستطيع كيف"

...يجيب يكن لم الليل لكن

الصمت من جديدة طبقة قلبها إلى يضيف بأن يكتفي كان

... الأيام مرت

...الشهور ثم

... الأعوام ثم

اللع أصبح بل وآخر، حين بين يزورها شعورًا يعد لم حتى بصمت، يكبر الحزن وكان الحياة بها تفهم التي ة

"حالك؟" كيف أحد: يسألها أن ولا بابها، أحد يطرق أن تنتظر تعد لم

،البشريحتملها لا الإجابات بعض أن أدركت فقد

تكفيها كلمات تجد لا التي تلك هي صدقًا الآلام أكثر وأن

...لتتنفس لا نافذتها، تفتح كانت ليلة، كل وفي

موجودًا زال ما العالم أن لتأكد بل

...هي أما

مجرد أصبحت سنوات، منذ أنها أم حقًا، موجودة تزال ما كانت إن واثقة تكن فلم  
يمشي ظل،

أحد يعرفه لا مكان في عالقة روحها بقيت بينما

...الحين ذلك ومنذ

بالسنوات عمرها تحسب تعد لم

استي التي الصباحات وبعدد مقل، وقلبها فيها نامت التي الليالي بعدد تحسبه كانت  
ذلك رغم نهضت ثم تنهض، يجعلها سببًا تجد أن دون فيها قظت

سَرَّها في تقول كانت:

...الناس يرحل أن مؤلماً ليس"

،أنت كما أنت تبقى بينما داخلك، من شيء كل يرحل أن المؤلم

"نفسك عن حتى الرحيل تستطيع لا

.أقوى أصبحت أنها يظن الجميع كان

... الألم كثرة بعد قوياً يصبح لا الإنسان أن الحقيقة لكن

.عنه التعبير على قدرة أقل يصبح بل

م ابتسامة دون من وجهها يبدو كيف نسيت لأنها بل سعيدة، لأنها لا تبتسم، كانت صطنعة.

.صمتها سبب عن أحد يسألها لا حتى بل أضحكها، شيئاً لأن لا أحياناً، وتضحك

.البشر من أكثر تعرفها الجدران أن تشعر كانت غرفتها، إلى فيها تعود مرة كل وفي

:وتهمس طويلاً، السقف في تحدق نفسها، الزاوية في تجلس كانت

...تموت أن لروح يمكن هل"

"عليه؟ اعتاد ما يؤدي الجسد ويبقى

...جديد من الصمت يسقط ثم

يوماً تستطع لم التي الكلمات بكل ممثلاً كان بل خالياً، يكن لم الذي الصمت ذلك تقولها أن

.واحدة دفعة الإنسان يقتل لا الحزن أن اكتشفت العمر، مرور ومع

...ذلك من قسوة أكثر إنه

وك به، يؤمن كان ما يتساقط وكيف أحبه، شيء كل يبهت كيف ليرى حيا، يتركه إنه عنه غريبا قلبه يصبح يف

...للنوم انتظارا لا عينيها، تغمض كانت ليلة، كل نهاية وفي

نفس والفراغ نفسه، والصمت نفسه، بالوجع غدا، سيعود أنه تعرف يوم من هربا بل ...

قلبا إلا أحد، يلحظها لم لحظة عند توقف الزمن وكأن

...أخرى أعوام ومرت

هذا كل بدأ متى تتذكر لا أصبحت حتى

الشيء يصبح أن الأمر به انتهى ثم رفيقا، صار ثم ضيفا، البداية في الحزن كان يتركها لم الذي الوحيد

... تُخذل أن تخاف تعد لم

. أصلا شيئا تنتظر تعد لم لأنها

ت والأضواء بيوتهم، إلى يعودون الناس تراقب ليلة، كل نافذتها أمام تجلس كانت: لنفسها تهمس ثم بيت، بعد بيتا طفا

أشع غرفتي، داخل وأنا حتى أنا. إلا إليه، يعود طريقًا يجد الجميع غريب... هو كم"  
"تأثمة زلت ما أنني ر

على حتى قادرًا يعد لم أنه درجة إلى متعب قلبها أن تشعر كانت الليالي، بعض وفي  
الانكسار .

...تتحطم لا القلوب فبعض

.النبض صدى سوى منها يبقى لا حتى يبطء، تتآكل بل

:وتقول طويلًا، يديها إلى تنظر كانت

"الحياة إلا يكبر... في شيء كل"

...عمرها كبر

...صمتها وكبر

.أحد يملأه لم الذي الفراغ ذلك وكبر

.شكلها نسيت قلبها، في تخبئها كانت التي الأحلام حتى

...تمت لم

. حية تكون أن يعني ماذا تعرف تعد لم لكنها

لأن شيئًا، فيه تُغير لا مهجور؛ بيت على الريح تمر كما عليها تمر الأيام أصبحت  
يتغير أن يمكن ما كل فقد ه

،أخرى أعماقًا للحزن أن اكتشفت حدوده، آخر بلغ الحزن أن ظنت كلما وكانت

.يتخيل مما أكبر وجع حمل على قادر القلب وأن

:خافت بصوت قالت ثم طويلًا، السماء إلى نظرت باردة، ليلة وفي

...السعادة أجد أن قدرتي يكن لم ربما"

"مفقود وقلبه الإنسان، يعيش كيف أتعلم أن قدرتي كان ربما

...الصمت عاد ثم

.للحكاية نهايةً يكن لم الذي الصمت ذلك

...جديد من بدايتها كان بل

،المعتاد وجهها وسترتي ستستيقظ، التالي، اليوم صباح في لأنها

...يكن لم شيئاً أن لو كما الناس بين وستسير

.أخرى مرةً السطر... أول من الحزن سيبدأ داخلها، في بينما

...الساعة عقارب تدور كما حولها تدور الأيام وأصبحت

.شيء إلى تصل أن دون نفسه، المكان إلى تعود

أحيا دائماً؛ ذلك يفعل لا الزمن أن اكتشفت ثم الجراح، يداوي الزمن أن تظن كانت  
صاحبه داخل يعيش كيف يتعلم حتى فقط، أطول عمراً الجرح يمنح ناً

يعلم أنه مع يسقط، أن يخشى مكسوراً شيئاً الإنسان يحمل كما قلبها تحمل كانت  
زمن منذ تحطم أنه

...أحد يخذلها أن يؤلمها يعد لم

أحد من الوفاء تنتظر تعد لم أنها يؤلمها كان بل

النسخة تلك بل الأمل، ولا الحب، ليس أعماقها، في انطفأ ما شيئاً أن تشعر كانت مختلفاً شيئاً معها يحمل الغد أن تصدق كانت التي الفتاة منها... القديمة

:تهمس ثم السماء، في تحقق نافذتها، أمام تجلس كانت ليلة، كل وفي

"له؟ يضيء من يجد ولا للجميع، يضيء لأنه بالوحدة، القمر يشعر هل"

...القمر عن يكن لم السؤال أن أدركت وكأنها باهتة، ابتسامة تبتسم ثم

عنها بل

.النهاية تخشى تعد لم العمر، مرور ومع

.هو كما شيء كل يبقى أن تخشى كانت

نفس المكان في والحزن نفسه، المكان في قلبها فتجد سنوات، عشر بعد تستيقظ أن نفسه المكان في والفراغ هـ،

.حدث ما هذا وكان

.شيء يتغير لم

...تمضي الحياة كانت

قلبها، يسكن يعد لم الحزن أن شعرت حتى نفسه، الوجد حول تدور فكانت هي، أما نفسه القلب صار بل

...بوضوح نبضها تسمع كانت شيء، كل يسكت حين الليل، آخر وفي

... قوياً كان لأنه لا

تق زالت ما روحاً الجسد هذا داخل أن ليشهد بقي الذي الوحيد الصوت كان لأنه بل

اوم،

المقاومة عن للتوقف أخرى طريقة تجد لم لأنها وإنما النجاة، في أملاً لا

...وهكذا

...الفرح عن بحثاً تعيش تكن لم

الغد إلى انهيارها تؤجل كانت بل

يليه الذي الغد إلى ثم

...آخر غدٍ إلى ثم

...وحده الحزن بينما المؤجل، الغد من طويلة سلسلة كله العمر أصبح حتى

يومًا نفسه يؤجل لم

... الأيام أحد وفي

الحزن من تخاف تعد لم أنها أدركت

به تشعر فلا فيه، تستيقظ قد الذي اليوم من تخاف كانت

. حيا زال ما داخلها ما شيئاً أن على دليل آخر كان قسوته، رغم الحزن، لأن

طويلاً المرأة أمام جلست .

. الأولى للمرة تراه أنها لو كما وجهها في حدقت

:همست ثم ملامحها، على أصابعها مررت

"الوجه؟ هذا بقي حتى ماتت... مني نسخة كم"

.انعكاسها يجبها لم

.الزجاج يراها فلا الأرواح أما الملامح، إلا تعرف لا فالمرأة

.قلبها من تضحك كانت طفلة إلى بذاكرتها وعادت عينيها، أغلقت

...الضحكة تلك صوت تتذكر أن حاولت

.فشلت لكنها

...فقط الفرح منها يسرق لم الحزن وكان

.يوماً موجوداً كان أنه على الدليل سرق بل

.المستقبل إلى تنظر تعد لم الليلة، تلك منذ

ب إليها، تأتي لا الأيام وأن الأمس، من أخرى نسخة إلا ليس الغد أن تشعر كانت  
إليها تعود ل

...نفسه اليوم

...نفسه الليل

...نفسها الغصة

،نفسها بالكلمات يخرج صار السماء، إلى ترفعه كانت الذي الدعاء حتى

نهاية لا ما إلى حولها تدور هي وبقيت تُستجب، لم أمنية عند توقف الزمن وكان

.سنوات منذ احترق بيتًا يشبه قلبها أن أحيانًا تشعر كانت

...لهب فيه يعد لم

.جدرانه تغادر لم الاحتراق رائحة لكن

:قالوا رأوها، كلما الناس، وكان

"به مرّت ما كل تجاوزت لقد"

...يعلمون يكونوا ولم

.تختبئ كيف تتعلم بل تُشفى، لا الجراح بعض أن

...تنتهي لا الأحزان وبعض

.البقاء تتقن بل

"أجمل يكون الغد" ليت تقول: تكن لم مساء، كل غرفتها إلى تعود كانت وعندما

:سرّها في تقول كانت

"منه؟ الهرب حاولت كلما إلا إلي الطريق يجد لم فلماذا نهاية... للحزن كان إن"

...أخرى مرة الليل يبتلعها ثم

.تعيشها التي للحياة آخر اسم سوى يكن لم كأنه

...أخرى ليلة وفي

.تبك لم

يملكها قلبها يعد لم رفاهية البكاء كان

بل الدقائق... تعدّ لا وكأنها الساعة، صوت سوى تسمع لا غرفتها، عتمة في جلست صبرها من تبقى ما تعدّ

:خافت بصوت تساءلت

داخ تمامًا يتوقف بينما النافذة، خارج السرعة بهذه يمضي أن الوقت يستطيع كيف " الإنسان؟ ل

.جواب هناك يكن ولم

. الإجابات كل من أصدق كان فالصمت

.القديم دفترها نحو يدها مدت

.أعوام منذ كتبتها كلمات فوجدت ببطء، صفحاته قلبت

... بالأحلام مليئة كانت

تظن كانت و حياة سيقون، أنهم تؤمن كانت وأشخاص تزورها، أن تريد كانت بمدن ما مكان في تنتظرها أنها

...الدفتر أغلقت

.الكلمات تلك صاحبة تعرف لم لأنها بل قراءته، من انتهت لأنها ليس

.اسمها تحمل امرأة مجرد هي وأنها زمن، منذ ماتت كتبتها التي الفتاة أن شعرت

.النافذة أمام وقفت

.عادتها غير على صافية السماء كانت

:همست ثم طويلاً، النجوم تأملت

" نتلاشى؟ وحدنا نحن بينما مكانها... في تبقى الأشياء من كم"

.حزينة بأنها تشعر لم اللحظة، تلك في

أخافها ما أكثر ذلك وكان

...شعورًا يكون أن عن يتوقف يطول، حين الحزن لأن

.ثانية طبيعة ويصبح

.صباح كل تراه الذي والوجه به، تفكر الذي والصوت تتنفسه، الذي الهواء يصبح

.منه الهرب تحاول تعد لم الليلة، تلك ومنذ

.معها سيعود العالم، إلى خرجت إذا أنه تعرف كانت

.جوارها إلى سيجلس الباب، أغلقت وإذا

. أحلامها إلى سيسبقها نامت، وإذا

...استيقظت وإذا

.معها عينيه يفتح من أول سيكون

...وهكذا

. شيئًا عمرها إلى تُضيف الأيام تعد لم

ي قلبها صار حتى قديمة، طبقاتٍ فوق الصمت، من جديدة طبقةً فقط تضيف كانت  
...الخارج من هادئًا بحرًا شبه

.ينتهي لا غرق أعماقه، وفي

شيئًا تنتظر تعد لم

. الأيام ملامح في صغيرًا تغييرًا حتى ولا خلاصًا، ولا فرحًا، لا

ف لتستمر بل نهاية، إلى لتصل ثكتب لا القصص بعض أن متأخرة فهمت قد كانت  
. الأبد إلى صاحبها داخل الدوران ي

الت الأولى الفكرة وبنفس الصمت، وبنفس الثقل، بنفس صباح كل تستيقظ صارت  
:تغادرها لا ي

"أستمر؟ يجعلني الذي ما"

.إجابة دون تنهض... ثم

يعر صار الذي نفسه والظل نفسها، والنافذة نفسها، الغرفة إلى تعود مساء، كل وفي  
نفسها تعرف مما أكثر فها

...والحزن الفرح بين واضح صراع داخلها في يعد لم

ير لا يتغير، لا نفسه، الإحساس من طويل امتداد فقط: واحد شيء هناك صار بل  
. أصلًا مكسور لأنه أكثر ينكسر لا تفع،

. شيئًا تفعل أن دون طويلًا جلست باردة، ليلة وفي

.حتى داخلي حديث لا بكاء، لا كتابة، لا

.صمت فقط

: يرى لا شيء إلى تتحدث كأنها همست، ثم

"منه تعبت الألم... حتى"

.ينتصر أن إلى يحتاج لا الحزن أن أدركت فقط وهنا

.يستمر أن يكفيه

دائمًا كانت كما الناس رآها التالي، الصباح في

شيئ يفضح لا وصوتها الحاجة، عند جاهزة وابتسامتها ثابت، وجهها بهدوء، تمشي  
أ.

أحد يسألها لم

أحد يسألها أن تنتظر تعد ولم

...العالم يلاحظه أن دون تغير قد كان واحدًا شيئًا لكن

حياتها داخل تعيش أنها تشعر ليان تعد لم

فقط تشاهدها أنها تشعر كانت

بعيد ومن

بها تكتب لا عنها، تكتب قصة وكأنها

وهكذا

الحكاية تنته لم

نهاية إلى أصلًا تصل لم لأنها

...هي كما استمرت بل

...تمامًا المنتصف في ويتركها نفسه، بالصمت وينتهي نفسه، بالحزن يبدأ يوم كل

. تفتح نهاية ولا تغلق، بداية لا حيث

...تمشي حياة فقط

تصل أن دون طويل، زمن منذ بها تلحق أن تحاول خلفها، تبقى وصاحبها

الخاتمة

.بهدوء الكتاب أغلق النهاية، وفي

.الصفحات انتهت فقط كبير... شيء يحدث لم

.القلب في بل الورق في تُغلق لا لأنها واضحة، تكون لا النهايات بعض لكن

. يرى لا خفيف بشكلٍ معنا يبقى هو بينما انتهينا، أنا ونظن جانبًا، الكتاب نضع

...القصة إغلاق ليس الحقيقي الختم أن نفهم وهكذا

.الكلمات تنتهي أن بعد يبقى الذي الإحساس بل